د . المقالح .. وحديث شائق عن الفنان أبي بكر سالم بلفقيه

صوت قوي + ذكاء عميق + نجاح كبير = البلفقيه

2 - 2

د. المقالح

بلفقيه

يستعد الفنان اليمني (أبوبكر سالم بلفقيه) لإصدار ديوان شعري يتألف من مجموعة الأغاني التي كتبها ولحنها وغناها.

وقد قام صديقه الأديب الكبير (د. عبد العزيز المقالح) بكتابة مقدمة الديوان.. حيث تحدث في الجزء الأول من المقدمة عن (بلفقيه) الفنان.. بينما تناول في الجزء الثاني (البلفقيه الشاعر).. وتعتبر هذه المقدمة دراسة ممتعة وشيقة عن البلفقيه/ الفنان العظيم والشاعر المتمكن.

(فنون) أستطاعت أن تحصل على الجزء الأول من المقدمة عن (البلفقيه الفنان) ننشرها هنا .. آملين أن نحصل من أستاذنا المقالح على الجزء الثاني من المقدمة عن (البلفقيه شاعراً).

لم يكن طريقه سهلاً ولم تكن رحلته لعبة لذيذة كما قد يتصورها البعض، كان يدرك قبل أن يبدأ أنّ الأمر يحتاج إلى الصبر، وإلى المجازفة، وقد صبر وجازف وعانى وحقق بعضاً مما طمح إليه وما يزال الطريق أمامه طويلاً وعريضاً لا ليضيف إلى إبداعاته جديداً ومتطوراً وحسب، وإنّما لكي تزداد معرفته بالموسيقى اتساعاً وعمقاً، ومن حسن حظه وحظ الأغنية اليمنية أنّه قد ألقى عصا السير واستقر به الحال في القاهرة هذه المدينة العربية التي كانت بمنزلة القلب للجسد العربي الممتد من أقصى المحيط إلى أقصى الخليج ومنها انطلق الفنانون والمبدعون العرب في مختلف التخصصات.

ويُلاحظ أنّ انتقال الفنان بلفقيه إلى القاهرة بكل ما يضج في أعماقها من أصوات القديم والجديد والأجد لم يصبه باختلال التوازن ولم يغير نظام الأولويات في برنامجه الفني وفي مقدمتها إحياء الأغاني الكلاسيكية اليمنية وتطويرها في النطاق المقبول وإقامة الجسور بين الماضي والحاضر وبين اليمن وبقية الأقطار العربية، ولا يعني هذا الموقف المتشبث بالموروث أي تراجع عن موسيقى العصر أو أي نكوص عن التجديد ومشاركة الشبان من هواة التحديث الشامل _ غير دعاة الانسلاخ والتغريب _ أحلامهم في تغيير بُنية الموسيقى العربية لتستوعب أحدث الظلال الدقيقة في إيقاعات العصر وما محافظته المتطورة واتكاؤه الواضح على الجذور إلا التأكيد على أهمية الدور الذي تقوم به الموسيقى العربية التاريخية من محافظة على كيان الأمة وتقاليدها تلك التقاليد التي تصبح جزءاً لا يتجزأ من مقومات الشخصية الوطنية والقومية كما أنّ تلك الألحان بجذورها التاريخية قد كانت وستبقى الخامة التي تشكل مادة لا غنى عنها للإبداع الفني ومن هذه الخامات المتعددة الظلال والأوزان تتكون في الوطن العربي المدارس الفنية ذات الطابع المتنوع الذي يعكس تنوع البيئة الجرغافية والمُناخية من السهل المنبسط إلى المناطق الجبلية الوعرة، ومن الوديان إلى الصحاري، وبذلك تحقق الأمة نهضتها الحديثة في الثقافة والفنون وتعمل على صهر الوجدان الجماعي الموحد.

إنّ محاولة تطوير وتجديد الأغنية اليمنية الكلاسيكية وهو العهد الذي شغل ويشغل وعي الفنان بلفقيه صارت بعد انتقاله إلى القاهرة قضية فنية بالغة الأهمية ينبغي أن تثير اهتمام الباحثين والدارسين في حقل الأغنية العربية، لأنّها تأتي بعد سنوات وربما قرون تناساها العرب كما تناسوا أهلها مع أنّها كانت كما يقول تاريخ الموسيقى العربية المعين الأول الذي استقى منه عرب الأقطار العربية جذور موسيقاهم بعد أن استعادوا وحدتهم بالإسلام :

(ليس هناك مصادر موثوقة عن الموسيقى والفنون الشعبيةويستفاد من تقرير يرجع عهده إلى القرن السابع قبل الميلاد (زمن أشور بانيبال) إنّ الأسرى العرب كانوا يؤدون غناءً حزيناً، يسحر حراسهم من الأشوريين، إلا أننا نعلم السر في ذلك، فقد كان هناك شبه كثير بين حضارات الشعوب السامية بحكم القرابة اللغوية والصلات التجارية المباشرة.

وفي نحو الميلاد، عندما أدت حملات الروم إلى زوال الممالك العربية، بقيت الحضارة القديمة قائمة في الجنوب العربي، وتمّ فيما بعد وعن طريق الهجرات، نقل هذه الحضارة مجدداً إلى الشمال، إلى الحيرة التي كا نت مركزاً ثقافياً مزدهراً، تتبوأ الموسيقى فيه مكانة مرموقة، وحيث كان موسيقيون عرب يعملون في قصور الحكام الأمراء).

وهذا البُعد الإحيائي الذي يتجلى في اهتمام الفنان أبوبكر سالم بلفقيه بالأغنية التراثية لا ينبغي أن ينسينا ما يفيض به من حب عميق لوطنه ولإبداعات هذا الوطن. والذي تجلى أيضاً في مقالاته الصحفية التي يقول في إحداها قبل أن يعود إلى وطنه في زياراته الأخيرة (الصلة بالأرض والوطن أقوى من كل الصلات العابرة، ولا شك أنّ حنيني أو حنين أي يمني مغترب يفوقان كل وصف، لابد من زيارة قريبة للوطن، فحنيني إلى أحبتي جائح رغم الظروف المعوقة حالياً، لأنّ نكران الوطن الأم مستحيل جداً فناكر أصله لا قيمة له بين الناس، والوطن هو الحب، هو الإحساس، هو الصدق، هو باختصار كل حياتي) وهذا الموقف يذكرني بكلمات بديعة لرسول حمزاتوف شاعر (داغستان) وسليل الثقافة العربية الإسلامية وخُلاصة الثقافة الإنسانية المعاصرة حيث يقول :

(كل إنسان يجب أن يعرف من صغره. أنّه جاء إلى العالم، من أجل أن يكون رسول شعبه، ولذا عليه أن يكون مهيأ لهذا الدور، وإلا لماذا يعطون الإنسان اسماً، وطاقية، وسلاحاً، ويعلمونه وهو في المهد الأغاني الوطنية.. أما أنا فبأي مكان يضعني القدر، وإني حللت أشعر إنني رسول تلك الأرض، وتيك الجبال، وذياك الحي، هناك حيث تعلمت ركوب الحصان، إني أعتبر نفسي، وفي أي مكان كنت مرآسلاً خاصاً لبلدي).

ولاشك أنّ دور الفنا الكبير في المرحلة الراهنة _ بوصفه رسول شعبه _ يتضاعف لأنّ اليمن التي كا نت مجهولةً بالاحتلال وبالطغيان الملكي _ كانت صغيرة بالتشطير صارت بالثورة على ألسنة الناس في القارات الخمس وأصبحت كبيرة بالوحدة وصار عليه أن يغني شجنها وشجوها وأن يكتشف في السلّم الموسيقي للأغاني اليمنية القديمة مناجم جديدة للإبداع :

يا أحبة ربا صنعاء
سقى الله صنعاء
كيف ذاك الربى
لا زال للغيد مرعى

وقد كشفت الاختيارات الرائعة للنماذج التي غنّاها أبوبكر أنّ الأغنية اليمنية القديمة، والصناعية منها بالذات كانت سجينة قمقم المحلية، وأنّه قد أطلق سراحها وأخرجها بصوته القوي الشجي إلى العالم الواسع العريض. وهو يعكس من خلال أحاديثه عنها ضرورة أن تجد طريقها إلى الجمهور العربي المتعطش إلى الفن الأصيل وإلا تبقى مطموسة ورهن جدران العزلة والإهمال (الأغنية الصنعانية ثرية وغنية وقديمة وتعتبر من أقدم الأغاني في الجزيرة العربية كلها، ولكن لابد من تطويرها ولابد من أن تنتشر إلى ما وراء الحدود على أساس أن تصقل بالآلات الشرقية الحديثة مثل الناي والكمان وغيرهما ويكون لها عزف جماعي، مثل ما لها عزف منفرد وعلى هذا النحو حصدت استحساناً طيباً _ أن تطوير الأغنية الصنعانية بالنسبة لي بداية خوف لأنني لا أستطيع أن أجيدها كما يجيدها أرباب الأغنية الصنعانية.. وبداية تطويري للأغنية الصنعانية سيحدث جدالاً كبيراً مثلما حدث سابقاً فقد قمت بتطوير للأغنية الحضرمية عام ٧١م حينما أحضرت الأغنية الحضرمية من بيروت حدث جدل كبير جداً حولها لأنّ الأذن بالذات لم تتقبلها بسرعة فقد كانت أول مرة تخضع للعزف الجماعي، وقد قمت بالبداية وعلى الأخوان في اليمن مواصلة المسيرة.. لقد كانت تعزف بآلة منفردة وأصبحت تعزف بأكثر من عشرين آلة).

تلك هي مهمة الفنان الكبير كما حددها لنفسه، وهي مهمة _ كما سبقت الإشارة _ صعبة وجديرة باهتمام الباحثين والدارسين في اليمن وخارج اليمن، ولا ننسى الإشارة _ في هذا المجال _ إلى الدور الكبير الذي اضطلع به فنانان من أهم رواد الفن في بلادنا في مساعدة الفنان أبوبكر سالم بلفقيه على اقتحام عالم الأغنية الصنعانية والخروج بها وبجمالياتها الإيقاعية إلى المشرق والمغرب وأول الرائدين هو الفنان الذائع الصيت/ أحمد فتحي أما ثانيهما فهو الفنان الذي تتلألأ إبداعاته الموسيقية الشجية فيما يشبه الخفاء وأعني به الأستاذ علي أحمد الخضر الذي يؤدي دوره الخطير في تشجيع الفن وفي الأخذ بأيدي الفنانين في صمت وتواضع، ولأنّ دراسته الجامعية قبل الثورة ثمّ المناصب التي تقلدها بعد قيام الثورة قد حالت دون احترافه للغُناء فقد كان السباق في اتخاذ المواقف المؤيدة والمشجعة وتحول الغناء عنده إلى هواية شخصية يسعد بها قلوب أصدقائه المقربين في أوقات متباعدة كما تحول عشقه للأغاني إلى حب غامر للفن والفنانين المبدعين، وإلى نوع نادر من التفاني في خدمة المواهب الكبيرة حتى لا تصدأ أو يدركها الذبول والانكماش.

لقد تولى هذان الفنانان الأصيلان دعم موقف الفنان الكبير من أحياء الأغنية اليمنية التراثية العامة والصنعانية منها بخاصة وبذلك أنطلقت أقوى حنجرة تترنم بأحلى نغم كلاسيكي احتفظت به الذاكرة الفنية للبشر :

وامغرد بوادي الدور
من فوق الأغصان
وامهيج صباباتي
بترجيع الألحان
ما بدا لك تحرك شجو
قلبي والأشجان
لا أنت عاشق ولا مثلي
مفارق للأوطان

أيوب .. النهر الظامىء !!

رافق مواجيدنا متغنياً بتراب الوطن وسمائه

ليس في استطاعة احد ان يقول كل شيء عن اي شيء او حتى عن بعض شيء.. وانما في وسعه ان يقول القليل عن القليل، وهذا اكثر مما سيتاح لي في هذا الحيز الضيق لاقوله عن الفنان والمبدع الكبير (ايوب طارش) فاذا قصرت فارجو ان لا ألام، فما اجمل ماقاله الكاتب (اوسكار وايلد) عندما عتب الناس على احد عازفي البيانو لانه لم يحسن العزف، فقال: «لاتلوموا العازف، انه بذل اقصى مايستطيع» !! .. وانا ذلك العازف.

علوان الجيلاني

وعندما اتحدث عن ايوب فانني اعزف على اوتار نفسي، اي انني سأحاول ان ارى ابعد، وألمس أرق، وأسمع أعمق، وأشم أكثر.. فقد وضع هذا الفنان اسمه على كل شيء، وعينيه على كل لون، واذنه على كل صوت، وانفه على كل عطر.. ثم حرك اوتار عوده .. فسمعنا دقات قلوبنا!!.

لقد رافق ايوب مواجيدنا الوطنية .. متغنياً بتراب الوطن وسمائه، باحلامه وطموحاته، بتاريخه ووحدته .. تماما كما رافق رحلة الغربة اليمنية، فكان دندنة المهاجر المشتاق لبلاده واهله، ولوعة المنتظرات في كل مدينة وقرية.. فاذا سمعت امرأة تلوب بصوته:

إرجع لحولك كم دعاك تسقيه
ورد الربيع من له سواك يجنيه

فان شفاه رجل بعيد سترد :

ميان له امعز من فارق
ديار امحبايب؟
وكيف يهنا زاده؟!

وايوب الذي جنينا معه حلاوة الاغنية الريفية غارقة بعرق المزارعين وفرحة المكدودين .. كان ايضا اجمل من رافق عواطفنا، ولون ايام عشقنا .. اي انه كان يطلق أغنية ويترك احاسيسنا تجري وراء ظله او يتركنا نلاحظ اصداءه في نفوسنا!!

ومعنى ذلك ايضا.. ان ايوب كان يقول ما في نفسه، وما في نفوسنا .. والتفسير الوحيد لما كان يفعله آلاف الناس الذين رأوا محبوبتهم وعايشوا مواجيدهم على انات ايوب التي تعذب حتى العذاب!!

ان وراء كل اغنية من اغنياته كم هائل من الشجن والحزن والاسى والمعاني الجادة.. ويبدو انه كان مع كل اغنية يفعل تماما ماكانت تفعله قواقع اللؤلؤ حين تتسلل اليها ذرة من الرمل.. هذه الذرة تؤذي ذلك المخلوق الحساس الذي يسكن القوقعة، فيغوص في اعماق البحر، ويظل يفرز عليها مادة عازلة.. وعلى مر الايام تتحول هذه المادة العازلة الى حبة لؤلؤ رائعة..

فاللؤلؤة او اللحن ليس الا محاولة من الفنان لعزل روحه عن تلك المعاناة المؤلمة .. واللؤلؤة ليست الا دموع الفنان الحساس .. فقد اقام القوقع قبرا رائعا لذرة الرمل، وذرة الرمل هي تلك المعاناة .. هي ذلك الهاجس وذلك الشجن المر والحزن القاتم والاسى الاليم.. اما حبة الشجن فهي العمل الابداعي الجميل الذي نسمعه يقول:

مادريش كيف قلبك رضي
يروى وقلبي مارضيش
اشرب واشرب من هوى غيرك
ولكن مارتويش
والضوء في عيني اذا غيبت
وجهك مايغيبش
خليتني القى وجوه الفجر
اعشى ماستضيش
واحرقت اعشاشي وارياشي
ولاخليت ريش

او يقول :

تهنيتك وغنيتك غنا
أنا المحروم من خمر الوجن
ومن بعد التلاقي والهنا
رمي بي الحب في بحر المحن
تهدأ بي لامواج الضنا
اخذ قلبي وسيب لي الشجن
يقهدني ويسقيني المنى
عطش يجري بروحي والبدن

لقد رافق ايوب في رحلته الغنائية شعراء كبار ولكنهم كانوا الى جانب ذلك عشاقا كبار ومربين ايضا، ولذلك فان كلمات اغانيه ليست الا صورا لاعمال مشتعلة ومتوهجة.. انها اعماق الشوامخ الذين غنى لهم وصور الحياة التي عاشوها .. فكل واحد منهم عاش تجربة الحياة، وتجربة الحب آلاما وجروحا، هوانا وفشلا، عذابا وانانية ايضا.. ثم انهم غمسوا فرشاتهم في كل تلك الالوان .. ولم يكتفوا بذلك، بل اشعلوا بما قالوه دماء ايوب!!

وكانت اغانيه من شعر الفضول بشكل خاص، اشبه بتلك القصص الجميلة التي احرقها احد العشاق القدامى ثم أطلقها في حقول القمح لتشعل فيها النار.. ولم تكن حقول القمح في حالة ايوب الا ارواحنا نحن.. ولذلك كانت اغانيه جذوة في قلوب كل العشاق والمحبين والمتذوقين للفن والابداع .. لقد جاء ايوب الى الغناء مؤسسا بتراثه العريق، وظل الاخضرار الصوفي ملمحا بارزا في اغلب ماغناه.. ولكن ذلك الاخضرار الذي لم يكن بردا وسلاما عليه، وانما كان ماءً قليلة على نار كثيرة.. وفي وجدانه هو الذي جعل ايوب عصياً على كل الظروف والمعوقات، تشتد عليه المعاناة حتى يوشك على الاختفاء .. ثم يبعث من جديد انبعاث (بروميثيوس) في الاسطورة الاغريقية.. ذلك الرجل الذي تنهش النسور قلبه، ثم ينبت له قلب جديد، لتجيء النسور وتنهشه من جديد!!

فهو وان كان قد شرب من يد الشعب شهد المحبة والاعجاب والتقدير.. فانه من جانب الجهات الرسمية قد بقي دائما بين (امجفا) و(مغلايب) .. ولعله قد شعر مرات بتلك المرارة التي يحس بها الفنانون الكبار.. فهو يعلم ان بينه وبين الناس نهرا.. هو يلقي في هذا النهر بدمه وخلاصة روحه .. ويمضي النهار الى الناس، ولايعود اليه. .وتبقى القمة التي انطلق منها الماء جافة عطشى!!

هل استطعت ان اقول شيئا يفي بحق هذا الفنان الكبير؟!

أشك في ذلك..

فأنا ايضا .. مكانني ظمآن!!

أغنية

ما هكذا تقسو عليّ

كلمات : عبدالرحمن ابراهيم
لحن : احمد بن غوذل

ما هكذا تقسو عليّ..
ما هكذا ..
وأنا الذي أحنو عليك
ما هكذا تقسو على قلبي البرئ..
قلبي الطري
قلبي الذي كان السنا لمقلتيك
ما هكذا تقسو عليه
وهو الذي حنت حمائمه اليك
ما هكذا احرقتني .. ما هكذا مزقتني
وقتلت احلامي التي نامت على نبضتيك
وقتلتها .. وقتلتني
وتحولت كل الثواني في حياتي
هلاك..
ماذا دهاك
ماذا جنى قلبي عليك
وانا الذي اعلنت للاشجار والامطار.. والاحجار
لنهاية الدنيا معك
ماهكذا يا ايها الرجل الذي
اوغلت في عمقي
وانا الذي أبحرت في صحوة فضاك
ما هكذا يا ايها الرجل الذي لازال
في عيني ملاك
ماذا جنى قلبي الوديع عليك
بالله اقنعني .. وصارحني
وانا الذي مالي سواك
ارجوك صارحني
ماذا دهاك
ارجوك صارحني يا ايها الرجل الذي
لازال في عيني ملاك

الرياضة والثقافة يجتمعان في مسرحية «الكوت»

أحمد عبدالله سعد

في اليوبيل الذهبي لنادي الروضة الرياضي- منطقة الروضة «القلوعة» أقيمت فعاليات رياضية مختلفة احتفاءً بهذه المناسبة.. الجديد هي المرة ويبدو أنه لأول مرة منذ عقود طويلة عكست الفعاليات الواجهة العنوانية للنادي بأعتباره ثقافياً الى جانب كونه رياضياً وهذا ما لمسناه من خلال الفعاليات الثقافية والفنية التي صا حبت الاحتفاء بمرور نصف قرن على تأسيس النادي ١٩٥٦-٢٠٠٦م ، ما يثلج الصدر في هذه الاحتفالية أنها جهود وثمرات مبادرات شخصية قام بها نائب ر ئيس النادي الأستاذ الكابتن/ صلاح الجلادي وبمشاركة ومساهمة رئيس اللجنة الثقافية الأستاذ المخرج المسرحي الفنان/ قاسم عمر وجهود بقية الأعضاء والهيئة الإدارية الذين يحسب لهم تحدي الصعوبات لخلق أرضية ثقافية فنية تتواكب مع العمل الرياضي وهذه البادرة لم يقوم عليهاً كثير من الأندية الرياضية التي منذ تأسيسها وهي ترفع يافطات على مقراتها باكليشات.. النوادي الرياضية والثقافية، والمسميات في هذ الجانب كثيرة، وحتى الإمكانيات المادية فهي تفوق أضعاف المرات إمكانية نادي الروضة الرياضي والثقافي ورغم ذلك ظلت أسماء على مسميات..

الحدث الأهم في احتفالية نادي الروضة بعيده الذهبي تقديم مسرحية «الكوت» لفرقة المسرح الطليعي وهي من تأليف محمد صالح الشاعر وتمثيل نجوم المسرح في عدن الفنان القدير هاشم السيد والفنان القدير أحمد مطلق والفنانتان المخضرمتان هدى محمد حسن والفنانة نور عبدالله عبده والمسرحية من إخراج الفنان المتميز سالم العباب.

وسبق لهذه المسرحية أن شاركت في العديد من المهرجانات في عدن وفي العاصمة صنعاء وفي يومي الخميس والجمعة ٢٣ و٢٤ فبراير ٢٠٠٦م قدمت عرضين على خشبة مسرح المدرسة الموحدة في الروضة المحاذية لنادي الروضة.. هذا إن العرضان حسب ما سمعنا يعتبران حدثاً ثقافياً بل ونادر جداً فهذه المدينة الشعبية لم تشهد منذ عقود طويلة ربما بعمر النادي أي حدث فني مسرحي، بل ذهب الكثير إلى أن الحدث يعتبر أول مرة يأتي لمدينة الروضة منذ تأسيسها ويعتبر حدوثه مفاجأة جميلة افتقدتها المدينة وسكانها منذ عقود طويلة جداً.

والمشاركة توجت بحضور جماهيري كبير في العروض المسرحية يوم الجمعة تحديداً كان الحضور العائلي كبيراً جداً.. تدفقت عائلات كثيرة تحمل أطفالها لمتابعة هذا الحدث الثقافي الذي قدمه لهم نادي الروضة وآتساع هذه المشاركة عكست الحاجة الضرورية التي يحلم بها الجمهور ويتمناها دائماً وهي وجود المتنفس الثقافي والخروج من دائرة الرتابة المعيشية والجلوس الدائم و المستديم أمام التلفزيون بمختلف قنواته الفضائية.. كما أكد الحضور الكثيف الرغبة في التفاعل مع الدراما المحلية وأيضاً المشاركة الحقيقية مع كل ما يقدم مسرحياً فالحاجة للمسرح لم تعد مقتصرة على فئات محددة، بل إن المبادرة إن احترمت عقلية المشاهد العادي فستجد الاستجابة وهذا مالمسناه من الجمهور الذي حضر العرض المسرحي الكوت.

يبقى أن نقول أيضاً أن النيات الصادقة والحقيقية أن وجدت سوف تخلق الحضور من الجميع وإن الامكانيات مهما كا نت شحيحة لايمكن أن تكون حاجز بين النادي و الجمهور وعلى مختلف الفئات والتواصل يبدأ من اشراك الجمهور في التواصل مع النادي وهذا ماحققه نادي الروضة في هذه البادرة الشجاعة وإن كانت متواضعة ألمهم أنها بداءت فعلياً وعلى أرض الواقع.. أما البقاء وراء الشعارات واليافطات دون تفعيله على أرض الواقع فأنه يزيد الهوه ا تساعاً بين النادي وجمهوره.

يبقى في النهاية الاستمرارية والتقدم خطوات الى الأمام.

ما قيل أن مثل هذه الفعاليات سوف تستمر وتصبح شهرية هو بمثابة تحدي لمصداقية القول بالفعل وذلك يتطلب جهوداً من الجميع وأن لاتقتصر مثل هذه الفعاليات على حدث معيّن بل المطلوب أن تصبح خطة عمل توضع في أوليات نشاطات نادي الروضة اليومية والشهرية والفصلية وحتى يترسخ مثل هذا الحضور ويصبح قاعدة ونشاط مستمر فإنه يضيف مسؤولية أكبر على عاتقه.. فهو وأن كن يرسخ مفاهيم قديمه جديده ظلت شعاراً ولم تكن لها أرضية حقيقية فإن جهوده في انجاح التجربة التي اقدم عليها يجعله سباقاً لإعادة دور الأندية المختلفة التي غاب عن برامجها الجانب الثقافي والفني، كما تجعله هذه الخطوة مثالاً للأندية المختلفة وقدوة لها.

ننتظر كيف حركت المياه الراكدة وإلى أين تصل رذاذات المياه المتطايرة؟

أبوح لكم

عدوية .. القمر .. بيضوّي عالناس !!

عبدالقادر خضر

● أحبته دون أن تراه ..

سمعت صوته وهي طفلة لاتزال .. فشغفت به .. وعشقته بقوة .. كان يقص لها حكاياته ومغامراته الطريفة .. يغني ويعزف لها الموسيقى .. يروي لها النكات، وينقل اخبار الدنيا .. يقرأ لها الشعر .. ويتلو لها القرآن.

● وفي الليل .. تفسح له مجالا على سريرها .. تغطيه بحنان.. وتشده الى صدرها .. وتغفو على امل اللقاء به صباح الغد..

من يكون هذا الذي تعلق به قلب الفتاة..؟

● انه الراديو .. ذلك الجهاز الذي قد لانراه كما يره الاعمى وهي؟

● شابة كفيفة التقيت بها في دمشق .. اسمها (عدوية) .. عمرها خمس وعشرون سنة حالكة الظلمة .. تضع نظارات سوداء على لاشيء!!..

تخفي عينين لا وجود لهما!!

تفهم النكتة .. وبذكاء تضحك لها وهي تحاول كتم الضحكة بيدها، انها تخجل من ضحكتها.. وقلما تفلح في حبسها داخل ذلك الفم المزموم الذي سرعان ما ينفرج لدى اول مداعبة أو نكتة جديدة.

عدوية .. لم تلوث قلبها الكبير قسوة القدر..

فهي تتعامل مع الذين يبصرون بمنتهى الصفاء والمحبة .. وهذا امر نادر لمن يفقد اعز ماليه .. وعدوية فقدت نور العينين .. ولكنها لم تفقد الامل .. ظلت تبحث عن نور العلم والمعرفة..

● والتحقت بمعهد اجنبي امضت فيه ثلاث سنوات في تعلم القراءة باصابعها على طريقة (بريل) .. وفي دراسة موسيقى بيتهوفن .. وفي الاستماع الى كمان كانيني وهو ينشج بلوعة احزان البشر!!

حتى صار بمقدورها ان تعزف بمهارة مؤلفات شوبان التي (تعصر القلب بعذوبتها وألمها) كما تقول عدوية!

تمد عدوية يدها الى جهاز الراديو .. وهنا ينبعث صوت فيروز (القمر بيضوي عالناس) .. وتجمد اصابع عدوية فيما هي تصغي بانتباه وتأثير غامض .. انجلى حين قالت :

- لكم اود ان ارى القمر .. لقد سمعت عنه كثيرا .. ولكنني اريد ان اراه!!

ولاول مرة ينقطع حديثنا .. ويحمل صمت ملأت فراغه فيروز بصوتها الشجي..

عدوية الآن تبذل المحاولات لاجراء عملية جراحية لعينيها في موسكو .. وبدافع فضول شخصي مجرد من اي قصد لتحريك عواطف الفتاة واستغلالها صحفيا قلت لها:

● لو نجحت العملية .. من هو الانسان الاول الذي تتمنين ان يقع بصرك عليه؟

تجيب : أبي .. أريد ان ارى ابي .. اريد ان ارى وجوه اخوتي!

● ووجهك يا عدوية .. اما تتوقين الى رؤيته؟!

يتشنج وجه عدوية وهي تجيب بحياء انثوي:

طبعا .. يعجبني كثيرا أن ارى وجهي.. ان اقف امام المرآة واسرح شعري .. انهم يقولون بانني حلوة .. ولكنني اريد ان اتأكد من ذلك بنفسي .. فلعلهم يقولون ذلك من باب المواساة فحسب!

- ما الذي تتلهفين لرؤيته ايضا ياعدوية؟

- تقول : الشمس .. انني احس بها عندما تشرق وتغيب.. ولكني اريد ان اراها!

اريد ان ارى القمر والنجوم والعصافير والزهور.. كما اريد ان اقرأ الكتب والمجلات والصحف .. واتفرج على التلفزيون..

و.. و...

وحتما .. كثيرة هي الاشياء التي تتمنى عدوية ان تراها .. لو نجحت العملية فقط لو ..

تقول عدوية :

لو نجحت العملية .. سأحس باني ولدت تواً!!

وثانية .. يرتفع صوت فيروز (عيوننا اليك ترحل كل يوم) .. والعين لؤلؤة الوجه.. فمن ياترى يعيد لهذا الوجه لؤلؤتيه؟!.